الفصل الرابع

مذهب الصوفية فى التفسير الباطنى للقرآن

وكما لا نملك التسليم للصوفية فى ادعائهم بوحدة الوجود .. فاننا لا نستطيع أن نسلم بمذهبهم فى التفسير الباطنى للقرآن الكريم ..

والتفسير الباطنى ـ أو الاشارى ـ للقرآن الكريم .. ليس أمرا جـديدا فى ابراز معانيه .. بل هو أمر معروف من لدن نزوله على رسـول الله ﷺ ..

أشار اليه القرآن الكريم .. ونبه عليه الرسول ﷺ .. وعرفه الصحابة رضوان الله عليهم وقالوا به ..

أما اشارة القرآن اليه .. ففى قوله تعالى : **« فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا »**[1] .

وقوله : **« أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا»**[2] .

وقوله : **« أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها »**[3] .

فهذه الآيات كلها .. تشير الى أن القرآن له ظهر وبطن ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى حيث ينعى على الكفار أنهم لا يكادون يفقهون حديثا ، ويحضهم على التدبر فى آيات القرآن الكريم .. لا يريد بذلك أنهم لا يفهمون نفس الكلام ، أو حضهم على فهم ظاهره .. لأن القوم عرب والقرآن لم يخرج عن لغتهم ، فهم يفهمون ظاهره ولا شك ..

وانما أراد بذلك .. أنهم لا يفهمون عن الله مراده من الخطاب ..

---

(١) النساء : ٧٨ (٢) النساء : ٨٢

(٣) محمد : ٢٤

وحضهم على أن يتدبروا فى آياته حتى يقفوا على مقصود الله ومراده .. وذلك هو الباطن الذى جهلوه ولم يصلوا اليه بعقولهم ..

وأما تنبيه الرسول ﷺ .. فذلك فى الحديث الذى أخرجه الفريابى من رواية الحسن مرسلا عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لكل آية ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ، ولكل حد مطلع » ..

وفى الحديث الذى أخرجه الديلمى .. من رواية عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه مرفوعا الى الرسول ﷺ أنه قال : « القرآن تحت العرش له ظهر وبطن ، يحاج العباد » ..

ففى هذين الحديثين ، تصريح بأن القرآن له ظهر وبطن .. ولكن ما هو الظهر ، وما هو البطن ؟

اختلف العلماء فى بيان ذلك .. فقيل : ظاهرها — أى الآية — لفظها .. وباطنها تأويلها ..

وقال أبو عبيدة : ان القصص التى قصها الله تعالى على الأمم الماضية ، وما عاقبهم به ، ظاهرها : الاخبار بهلاك الأولين ، وحديث حدث به عن قوم .. وباطنها : وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعلهم فيحل بهم مثل ما حل بهم ..

ولكن هذا خاص بالقصص .. والحديث يعم كل آية من آيات القرآن الكريم ..

وحكى ابن النقيب قولا ثالثا : وهو أن ظهرها : ما ظهر من معانيها لأهل العلم .. وباطنها : ما تضمنته من الأسرار التى أطلع الله عليها أهل الحقائق ..

وأما الروايات التى تدل على أنهم فسروا القرآن تفسيراً اشارياً .. فما رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر .. فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ .. فقال عمر : انه من حيث علمتم .. فدعانى فى ذات يوم فأدخلنى معهم .. فما رأيت أنه دعانى يومئذ الا ليريهم ..

قال : ما تقولون فى قوله تعالى : « **اذا جاء نصر الله والفتح** » ؟(٤) •• فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا •• وسكت بعضهم فلم يقل شيئا •• فقال لى : أكذاك تقول يابن عباس ؟ •• فقلت : لا •• قال : فما تقول ؟ •• قلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له فقال : « **اذا جاء نصر الله والفتح** » ، وذلك علامة أجلك ، « **فسبح بحمد ربك واستغفره ، انه كان توابا** » • فقال عمر : ما أعلم منها الا ما تقول »(٥) ••

فبعض الصحابة •• لم يفهم من السورة أكثر من معناها الظاهر •• أما ابن عباس وعمر — رضى الله عنهما — فقد فهما معنى آخر وراء الظاهر •• هو المعنى الباطن الذى تدل عليه السورة بطريق الاشارة ••

ولما نزل قوله تعالى : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** »(٦) فرح الصحابة وبكى عمر رضى الله عنه وقال : ما بعد الكمال الا النقص •• مستشعرا نعيه ﷺ ••

فقد أخرج ابن أبى شيبة •• أن عمر رضى الله عنه لما نزلت الآية بكى •• فقال النبى ﷺ : « ما يبكيك » !! قال : أبكانى أنا كنا فى زيادة من ديننا •• فأما اذ كمل ، فانه لم يكمل شىء قط الا نقص •• فقال عليه الصلاة والسلام : « صدقت »(٧) •

فعمر رضى الله عنه •• أدرك المعنى الاشارى ، وهو نعى الرسول ﷺ •• وأقره النبى على فهمه هذا •• وأما باقى الصحابة ، فقد فرحوا بنزول الآية لأنهم لم يفهموا أكثر من المعنى الظاهر لها ••

ويقول فضيلة الشيخ الذهبى — رحمه الله : « غير أن هذه المعانى المتكاثرة التى يشتمل عليها باطن القرآن •• لم تكن فى متناول المفسرين جميعا •• كما أنهم لم يكونوا متساوين فى القدر الذى أدركوه منها •• بل تفاوتوا فى ذلك بمقدار ما بينهم من تفاوت فى الأخذ بالأسباب •

---

(٤) النصر : ١
(٥) رواه البخارى .
(٦) المائدة : ٣
(٧) تفسير الآلوسى جـ ٦ ص ٦٠

« كما أنهم لم يكونوا جميعا مصيبين فيما وصلوا اليه منه وأدركوه .. بل أصابوا فى بعض منها وأخطأوا فى البعض الآخر .. وما أخطأوا فيه .. بعضه عن جهل ، وبعضه عن تعمد خبيث ونية سيئة ..

« فالامامية .. مع قولهم بالظاهر على ما به .. قالوا بالباطن أيضا ، ولكنهم .. تعمدوا أن يفسروا الباطن على ما يتفق وعقيدتهم الفاسدة ..

« والباطنية .. لم يعترفوا بظاهر القرآن ، واعترفوا بالباطن فقط .. ولكنهم أيضا تعمدوا أن يفسروا الباطن على ما يتفق ونواياهم السيئة ..

« أما الصوفية — أهل الحقيقة وأصحاب الاشارة — فقد اعترفوا بظاهر القرآن ولم يجحدوه .. كما اعترفوا بباطنه ، ولكنهم حين فسروا المعانى الباطنة خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا .. فبينما تجد لهم أفهاما مقبولة سائغة .. تجد لهم بجوارها أفهاما لا يمكن أن يقبلها العقل .. أو يرضى بها الشرح »[٨] .

* * *

وينقسم التصوف — كما يرى الدكتور محمد حسين الذهبى[٩] — الى قسمين أساسيين : تصوف نظرى ، وتصوف عملى ..

فالتصوف النظرى هو الذى يقوم على البحث والدراسة .. أما التصوف العملى ، فهو الذى يقوم على التقشف والزهد والتفانى فى الطاعة حسب مفهومهم فى الطاعة ..

وقد كان لكل من القسمين أثره فى تفسير القرآن الكريم .. مما جعل التفسير الصوفى ينقسم أيضا الى قسمين : تفسير صوفى نظرى .. وتفسير صوفى فيضى ، أو اشارى ..

---

(٨) التفسير والمفسرون ، للشيخ محمد حسين الذهبى ، نشر مكتبة وهبة ، ١٩٨٥ ، ج ٢ ص ٣٥٢ وما بعدها ..

(٩) المرجع السابق ، ص ٢٣٩

وقد جنى التصوف النظرى على المباحث النظرية والتعاليم الفلسفية التى يعتنقها أولئك المتصوفون .. ولما تعذر على المفسرين منهم أن يجدوا فى القرآن ما يتفق صراحة مع تعاليمهم أو يتماشى مع النظريات التى يقولون بها — اذ القرآن قد أنزله الله تعالى بلسان عربى مبين لهداية الناس لا لاثبات نظرية من النظريات ربما تكون مستحدثة أو بعيدة عن روح الدين وبداهة العقل — لذا حاول أولئك المفسرون حرصا منهم على اثبات تعاليمهم ونظرياتهم .. أن يجدوا فى القرآن ما يشهد لهم أو يستندوا اليه ..

لهذا نراهم يتعسفون فى فهمهم للآيات القرآنية ، ويشرحونها شرحا يخرج بها عن ظاهرها الذى يؤيده الشرع ، وتشهد له اللغة ..

ويعتبر محيى الدين بن عربى — كما مر بنا — شيخ هذه الطريقة .. وقد رأينا كيف تأثر تفسيره بنظرياته الفلسفية لاثبات وحدة الوجود .. كما أنه يقيس الغائب على الشاهد بمقاييس خيالية منتزعة من المشاهد المحسوسة .. كما يحاول اخضاع قواعد النحو لنظرياته الصوفية .. ولكنه الخضوع الذى يكيفه على حسب ما يرضى روحه ويوافق ذوقه ..

أما التفسير الصوفى الفيضى — أو الاشارى — فهو الذى يؤول آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها ، بمقتضى الاشارات الخفية التى تظهر لأرباب السلوك .. ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة ..

وعلى هذا .. فالتفسير الفيضى — أو الاشارى — يفترق عن التفسير النظرى من وجهين :

فالنظرى .. يجرى على مقدمات علمية يعتقدها الصوفى ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك ..

أما الفيضى .. فانه لا يرتكز على مقدمات علمية .. بل يرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفى نفسه .. حتى يصل الى درجة تنكشف له فيها — حسب زعمه — الاشارات القدسية ، ويصل الى المعارف الربانية عن طريق خواطره والهامه القلبى ..

كما أن صاحب التفسير النظرى .. يرى أنه كل ما تحتمله الآية من معان ، وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل الآية عليه بحسب طاقته ؛ فى حين أن هناك معنى آخر تحتمله الآية ويراد منها أولا وقبل كل شىء .. وهو المعنى الظاهر الذى ينساق اليه الذهن قبل غيره ..

وما كان للمسلم الحق أن يقبل التفسير القائم على نظرية وحدة الوجود بأى حال .. ومهما كان قائله !!

كذلك ليس له الحق أن يقبل التفسير الذى أسس على نظريات الفلاسفة الذين بحثوا فى الطبيعة وما وراء الطبيعة — والذى جرى عليه ابن عربى وغيره من المتصوفة فى تفسيرهم لبعض آيات القرآن الكريم — على أنه تفسير موافق لمراد الله تعالى ومقصوده الذى جاء القرآن من أجله ..

كما أن التفسير الذى يبنى على قياس الغائب على الشاهد ، كتفسير ابن عربى لحقيقة الميزان الذى توزن به الأعمال يوم القيامة .. ليس تفسيرا مقبولا لدى المسلم الحق ، لأنه ضرب من التخمين ، والتخمين لا يجوز أن يدخل فى فهم الأشياء التى لا يتوصل الى حقيقتها الا من طريق السمع عن المعصوم ﷺ ..

يفسر ابن عربى الميزان الذى توزن به الأعمال يوم القيامة فيقول : « ان الله تعالى خلق الانسان على صورة الميزان ، وجعل كفتيه يمينه وشماله ، وجعل لسانه قائمة ذاته ، فهو لأى جانب مال .. وقرن الله السعادة باليمين ، وقرن الشقاء بالشمال .. وجعل الميزان الذى يوزن بالأعمال على شكل القبان .. ولهذا وصف بالثقل والخفة ليجمع بين الميزان العددى وهو قوله تعالى : « **بحسبان** » ، وبين ما يوزن بالرطل .. وذلك لا يكون الا فى القبان .. فلذلك لم يعين الكفتين ... » الخ !!

كما لا يقبل المسلم الحق قول ابن عربى أن : « الشمس والقمر والنجم والشجر يسجدون لهذا الميزان — أى من أجل هذا الميزان .. فمنه ذو ســاق وهو الشــجر .. ومنه ما لا طاق له وهو النجم —

فاختلفت السجدتان .. « **والسماء رفعها** » وهى قبة الميزان « **ووضع الميزان** » ليزن به الثقلان « **ألا تطغوا في الميزان** » بالافراط والتفريط من أجـل الخسران ، « **وأقيموا الوزن بالقسط** » مثل اعتدال نشـأة الانسان .. اذ الانسان لسان الميزان ، « **ولا تخسروا الميزان** »[١٠] ، أى لا تفرطوا بترجيح احدى الكفتين الا بالفضل ... » الخ !!

يرفض المسلم الحق هـذا التفسير لأنه ضرب من التخمين .. فالآيات قد ساقها تعالى فى معرض التدليل على نعمه تعالى التى أنعم بها على الناس .. ومعناها : أن الله الرحمن قد علمنا القرآن برحمته ، فأنعم بذلك علينا .. اذ بصرنا به الى ما فيه رضاه تعالى ، وعرفنا ما فيه سخطه .. لنطيعه فنستوجب جزيل ثوابه ، وننجو من أليم عقابه .. ثم امتن تعالى علينا بأنه خلق آدم والناس ، وعلم الانسان ما به الحاجة اليه فى أمر دينه ودنياه من الحلال والحرام ، والمعايش والمنطق .. ثم لفتنا الى آياته ، فالشمس والقمر يجريان بحساب ومنازل ، وما نجم من الأرض من نبات مما ينبسط عليها كالبقل ولم يكن له ساق ، وما قام على ساق من النبات يسجدان لله تعالى .. وكل هذه الأشياء المختلفة الهيئات تسجد له .. لقد رفع الله السماء فوق الأرض ، ووضع العدل بين خلقه فى الأرض .. فلهذا يأمرهم ألا يظلموا ويبخسوا فى الوزن ، وأن يقيموا لسان الميزان بالعدل ، ولا ينقصوا الوزن اذا وزنوا للناس فيظلموهم ..

هـذا — والله أعلم — هو تفسير هذه الآيات ولا صلة لهـا بالميزان الذى توزن به أعمال الناس يوم القيامة .. ولهذا يرفض المسلم الحق ذلك التأويل المبنى على التخمين فى أمور لا يتوصل الى حقيقتها الا عن السنة الصحيحة التى جاء بها الرسول ﷺ ..

كما لا يقبل المسلم الحق التفسير المبنى على القواعد النحوية أو البلاغية .. الا اذا ساعده القياس والسياق .. فاذا خالفهما وجب الاعراض عنه والأخذ بما يصححه النظر ويقويه الدليل ..

---

(١٠) الرحمن : ٥ — ٩

ان خير ما يقال فى معنى الظاهر والباطن .. أن ظاهر القرآن — وهو المنزل بلسان عربى مبين — : هو المفهوم العربى المجرد .. وباطنه : هـو مراد الله تعـالى وغرضه الذى يقصد اليـه من وراء الألفاظ والتراكيب ..

ولا يشترط فى فهم ظاهر القرآن زيادة على الجريان على اللسان العربى .. كما أن كل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربى فليس من تفسير القرآن فى شىء .. لا مما يستفاد منه ولا مما يستفاد به .. ومن ادعى فيه غير ذلك فهو يبطل فى دعواه ..

أما المعنى الباطن .. فلا يكفى فيه الجريان على اللسان العربى وحده .. بل لابد منه مع ذلك من نور يقذفه الله تعالى فى قلب الانسان يصير به نافذ البصيرة ، سليم التفكير ..

فالتفسير الباطن .. ليس أمرا خارجا عن مدلول اللفظ القرآنى .. ولهذا يشترط فيه أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر فى لسان العرب ، بحيث يجرى على المقاصد العربية .. وأن يكون له شاهد نصا أو ظاهرا فى محل آخر يشهد لصحته من غير معارض ..

فاذا توافر هذان الشرطان فى معنى من المعانى الباطنة قبل ، لأنه معنى باطنى صحيح .. والا رفض رفضا باتا .. لأنه معنى باطنى فاسد ، وتقول على الله تعالى بالهوى والتشهى ..

فاذا ما ذهبنا نستعرض — على ضوء هذه المقدمات — أقوال القوم فى معانى القرآن الباطنة ، فاننا نجد الكثير منها يمكن أن يكون من قبيل الباطن الصحيح .. كما أن الكثير منهـا أيضا من قبيل الباطن الفاسد المرفوض ..

وقبل أن نتعرض لأقوال الصوفية فى معانى القرآن الباطنة .. نحب أن نسوق بين يدى الموضوع أهم كتب التفسير الصوفى الباطنى .. حتى يكون القارىء على علم بكتب التفسير التى تعرض له ..

* * *

● **أهم كتب التفسير الصوفى الفيضى (الباطن) :**

نقول وبالله التوفيق .. ان من علماء الصوفية من وجه همته الى التفسير الظاهر ، ولم يتعرض للتفسير الفيضى كالبيضاوى والزمخشرى مثلا ..

ومنهم من جعل غالب همه فى التفسير الظاهر ، وتعرض للتفسير الفيضى بقدر .. كما فعل النيسابورى والآلوسى ..

ومنهم من غلبت عليه ناحية التفسير الفيضى .. ومع ذلك فهو يتعرض أحيانا للتفسير الظاهر .. كما فعل التسترى ..

ومنهم من وجه همته كلها للتفسير الفيضى ، ولم يحم حول المعانى الظاهرة .. كما فعل أبو عبد الرحمن السلمى ..

وأخيرا .. منهم من أعرض عن الظاهر وجمع فى تفسيره بين التفسير الصوفى النظرى ، والتفسير الصوفى الاشارى .. كما فعل محيى الدين بن عربى ..

ومن أهم كتب التفسير الفيضى : « تفسير القرآن العظيم » للتسترى (ت ٢٧٣ هـ) ، و « حقائق التفسير » للسلمى (ت ٤١٢ هـ) ، و « عرائس البيان فى حقائق القرآن » لأبى محمد الشيرازى (ت ٦٦٦ هـ) ، و « التأويلات النجمية » لنجم الدين داية (ت ٦٥٤ هـ) ، وعلاء الدولة السمنانى (ت ٧٣٦ هـ) ، والتفسير المنسوب لابن عربى (ت ٦٣٨ هـ) — ويرى البعض أنه من عمل عبد الرزاق القاشانى (ت ٧٣٠ هـ) ونسبه لابن عربى ترويجا له بين الناس ..

وقد جمع تفسير ابن عربى بين التفسير الصوفى النظرى ، وبين التفسير الصوفى الفيضى .. ولم يتعرض للكلام عن التفسير الظاهر بحال من الأحوال .. وأغلب ما فيه من التفسير النظرى يقوم على مذهب وحدة الوجود ..

أما ما فيه من التفسير الفيضى فكثير منه لا يفهم له معنى .. وليس له فى سياق الآية أو لفظها ما يدل عليه ..

* * *

● **نماذج من التفسير الصوفى الفيضى للقرآن الكريم :**

تبدأ كل سورة من سور القرآن الكريم بـ : « **بسم الله الرحمن الرحيم** » ..

وقبل أن يشرع المسلمون فى أى عمل من أعمالهم .. يبدأون بالبسملة ، امتثالا للحديث الشريف : « كل عمل لا يبدأ باسم الله فهو أبتر » — أو « أقطع » ..

والغرض من قراءة البسملة .. اعلان من العبد بأنه يبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شىء .. مستعينا به جل وعلا فى جميع أموره ، طالبا العون منه .. فانه وحده الاله المعبود ، ذو الفضل والجود ..

وتسميته تعالى « **الرحمن** » لعموم رحمته جميع خلقه ، وتسميته « **الرحيم** » لخصوص رحمته المؤمنين .. يقول تعالى : « **وكان بالمؤمنين رحيما** »(١١) ..

فالله جل ثناؤه « رحمن » جميع خلقه .. و « رحيم » المؤمنين خاصة فى الدنيا والآخرة ..

وفى ذلك يقول الامام الطبرى : « ان الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه .. أدب نبيه محمداً ﷺ بتعليمه اياه تقديم أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله .. وجعل ذلك سنة لجميع خلقه يستنون بها ، وسبيلا يتبعونه عليها » ..

فقول القائل : « **بسم الله الرحمن الرحيم** » اذا افتتح سورة .. ينبىء عن أن مراده بذلك : أقرأ باسم الله .. وكذلك عند القيام والقعود اذا قال : باسم الله ، فان معناه أقوم باسم الله ، وأقعد باسم الله ، وكذلك سائر الأفعال ..

ولكن « سهل التسترى » يفسر البسملة بقوله :

« الباء » : بهاء الله عز وجل ، و « السين » : سناء الله عز وجل ، و « الميم » مجد الله عز وجل ..

---

(١١) الأحزاب : ٤٣

و « الله » : هو الاسم الأعظم الذى حوى الأسماء كلها ..
وبين الألف واللام حرف مكنى غيب من غيب الى غيب ، وسر من سر الى سر ، وحقيقة من حقيقة الى حقيقة ، لاينال فهمه الا الطاهر من الأدناس ، الآخذ من الحلال قواما ضرورة الايمان ..

و « الرحمن » : اسم فيه خاصية من الحرف المكنى بين الألف واللام ..

و « الرحيم » : هو العاطف على عباده بالرزق فى الفرع ، والابتداء فى الأصل ، رحمة لسابق علمه القديم »!!

[تفسير القرآن العظيم للتسترى ، ص ٩ ، ١٠]

● ويقول بعض المفسرين فى قوله تعالى : « **ألم** » فى أول سورة البقرة : ان لكل كتاب سر ، وسر القرآن فواتحه ..

ويقول بعضهم : هى أسماء للسور ..

ويقول آخرون ان معناها : أنا الله أعلم ..

ويقول غيرهم : ابتدىء بهذه الحروف المقطعة أوائل السور .. ليفتح لاستماع القرآن آذان المشركين .. لأنهم تواصوا بالاعراض عن سماعه ..

ويرى الطبرى : أن تأويل مفاتح السور التى هى حروف مقطعة .. أن الله تعالى أراد بكل حرف منه الدلالة على معان كثيرة شامل جميعها من أسمائه عز وجل وصفاته ما قاله المفسرون ..

والراجح فى رأينا — والله أعلم — أن هذه الحروف المقطعة .. انما هى للتنبيه على اعجاز القرآن الكريم .. وهو قول المحققين من أئمة علماء التفسير ..

فماذا يقول « التسترى » فى تفسير هذه الحروف ؟

يقول : « ألم » : اسم الله عز وجل ، وفيه معان وصفات يعرفها أهل الفهم به .. غير أن لأهل الظاهر فيه معان كثيرة ..

« فأما هذه الحروف اذا انفردت .. فـ « الألف » : تأليف الله عز وجل .. ألف الأشياء كما شاء ..

و « اللام » : لطفه القديم ..
و « الميم » مجده العظيم » ..

ثم يقول : « لكل كتاب أنزله الله تعالى سر .. وسر القرآن فواتح السور ، لأنها أسماء وصفات مثل قوله : « المص » ، و « الر » ، و « المر » ، و « كهيعص » ، و « طسم » ، و « حمعسق » ، فاذا جمعت هذه الحروف بعضها على بعض .. كانت اسم الله الأعظم ، أى اذا أخذ من كل سورة حرف على الولاء — أى على ما أنزلت السورة وما بعدها على النسق « الر » و « حم » و « ن » — معناه : « الرحمن » .

« وقال ابن عباس : « ألم » معناه : أنا الله أعلم ، وقال على رضى الله عنه : هذه أسماء مقطعة .. اذا أخذ من كل حرف حرفا لا يشبه صاحبه فجمعن .. كان اسم من أسماء الرحمن ، اذا عرفوه ودعوه به كان الاسم الأعظم ، الذى اذا دعى به أجاب » !!

[المرجع السابق ص ١١ ، ١٢]

● ويقول تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام : **« الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقين . واذا مرضت فهو يشفين . والذى يمتنى ثم يحيين . والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين »**(١٢) .

أى : الذى خلقنى — وهو رب العالمين — يهدينى للصواب ، ويسددنى للرشاد .. وهو الذى يغذونى بالطعام والشراب ، ويرزقنى الأرزاق المختلفة .. واذا سقم جسمى واعتل فهو يبرئه ويعافيه .. وهو تعالى الذى يمتنى اذا شاء ، ثم يحيينى اذا أراد بعد مماتى .. وهو تعالى الذى أرجو أن يستر لى خطئى يوم الحساب ..

ولكن التسترى يفسر هذه الآيات بقوله : **« الذى خلقنى فهو يهدين »** : أى الذى خلقنى لعبوديته يهدينى الى قربه ..

---

(١٢) الشعراء : ٧٨ — ٨٢

« **والذى هو يطعمنى ويسقين** » : أى يطعمنى لذة الايمـان ، ويسقينى شراب التوكل والكفاية ..

« **واذا مرضت فهو يشفين** » : أى اذا تحركت بغيره لغيره عصمنى ، واذا ملت الى شهوة من الدنيا منعها عنى ..

« **والذى يميتنى ثم يحيين** » : أى الذى يميتنى ثم يحيينى بالذكر ..

« **والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين** » : أى أن ابراهيم عليه السلام قد أخرج كلامه على شروط الأدب بين الخوف والرجاء ، ولم يحكم عليه — تعالى — بالمغفرة » !! [نفس المرجع ص ١٠٦]

وهذا التفسير يغلب عليه ناحية التفسير الفيضى ، وان كان يتعرض أحيانا للتفسير الظاهر ..

* * *

● أما « السلمى » .. فيفسر قوله تعالى : « ألم » بأول البقرة بقوله : « قيل ان « الألف » : ألف الوحدانية ، و « اللام » : لام اللطف ، و « الميم » : ميم الملك .. معناه : من وحدنى على الحقيقة باسقاط العلائق والأغراض تلطفت له ، فأخرجته من رق العبودية الى الملأ الأعلى ، وهو الاتصال بمالك الملك دون الاشتغال بشىء من الملك ..

وقيل : « ألم » معنى « الألف » : أى أفرد سرك ، و « اللام » : ليت جوارحك لعبادتى ، و « الميم » : أقم معى بمحو رسومك وصفاتك .. آزينك بصفات الأنس بى ، والمشاهدة اياى ، والقرب منى » !!

[حقائق التفسير ص ٩]

● ويقول تعالى : « **وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى** »(١٣) أى أنه تعالى بسط الأرض طولا وعرضا .. وجعل فيها جبالا ثابتة وأنهارا من ماء ..

ولكن « السلمى » يفسر هـذه الآية بقوله : « قال بعضهم : هو الذى بسط الأرض وجعل فيها أوتادا من أوليائه وسادة من عبيده ،

---

(١٣) الرعد : ٣

فاليهم الملجأ وبهم النجاة .. فمن ضرب فى الأرض بقصدهم فاز ونجا .. ومن كان بغيته لغيرهم خاب وخسر » ..

ثم يقول : « سمعت على بن سعيد يقول : سمعت أبا محمد الحريرى يقول : كان فى جوار الجنيد انسان مصاب فى خربة .. فلما مات الجنيد وحملنا جنازته حضر الجنازة ، فلما رجعنا تقدم خطوات وعلا موضعاً من الأرض عاليا ، فاستقبلنى بوجهه وقال : يا أبا محمد ، انى راجع الى تلك الخربة ، وقد فقدت ذلك السيد .. ثم أنشد شعرا :

وما أسفى من فراق قوم	هم المصابيح ، والحصون
والمدن ، والمزن ، والرواسى	والخير ، والأمن ، والسكون
لم تتغير لنا الليالى	حتى توفتهم المنون
فكل جمر لنا قلوب	وكل ماء لنا عيون !!

[المرجع السابق ، ص ١٣٨]

● ويقول تعالى : « **فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام** »(١٤) .

أى أن فى الأرض الفاكهة الكثيرة .. وفيها النخل ذوات الليف المتكممة به ، وذوات الطلع النضيد .

فماذا يقول السلمى فى تفسير هذه الآية ؟

يقول : « قال جعفر : جعل الحق تعالى فى قلوب أوليائه رياض أنسه ، فغرس فيها أشجار المعرفة ، أصولها ثابتة فى أسرارهم ، وفروعها قائمة بالحضرة فى المشهد ، فهم يجنون ثمار الأنس فى كل أوان ، وهو قوله تعالى : « **فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام** » : أى ذوات الألوان .. كل يجتنى منه لونا على قدر سعته وما كوشف له من بوادى المعرفة وآثار الولاية » !! [نفس المرجع ، ص ٣٤٤]

وهذا التفسير — كما رأيت — يوجه همته كلها الى التفسير الفيضى ، ولم يحم حول المعانى الظاهرة ..

* * *

(١٤) الرحمن : ١١

● ويقول تعالى : « **ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج** »(١٥) .

أى : ليس على أهل العجز عن الجهاد ، ولا على المرضى ، ولا على من لا يجد نفقة للغزو اثم فى التخلف عن الجهاد ..

ولكن الشيرازى يقول فى تفسير الآية : « وصف الله زمرة أهل المراقبات ، ومجالس المحاضرات ، والهائمين فى المشاهدات ، والمستغرقين فى بحار الأزليات .. الذين أنحلوا جسومهم بالمجاهدات ، وأمرضوا نفوسهم بالرياضيات ، وأذابوا قلوبهم بدوام الذكر ، وجولانها فى الفكر .. وخرجوا بعقائدهم الصافية عن الدنيا الفانية بمشاهدة الباقية ، بأن رفع عنهم بفضله حرج الامتحان ، وأبقاهم فى مجالس الأنس ورياض الايقان .. وقال : « **ليس على الضعفاء** » **يعنى** : الذين أضعفهم حمل أوقار المحبة ، « **ولا على المرضى** » : الذين أمرضهم مرارة الصبابات ، « **ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون** » : الذين يتجردون عن الأكوان بتجريد التوحيد وحقائق التفريد ، « **حرج** » : عتاب من جهة العبودية والمجاهدة .. لأنهم مقتولون بسيف المحبة ، مطروحون بباب الوصلة ، ضعفهم من الشوق ، ومرضهم من الحب ، وفقرهم من حسن الرضا » !! [عرائس البيان ج ١ ، ص ٣٦٩]

● ويقول تعالى : « **والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون** »(١٦) .

أى : أن من نعم الله تعالى عليكم أن جعل لكم من الأشجار ظلالا تستظلون بها من شدة الحر ، وجعل لكم من الجبال مواضع تسكنون فيها كالكهوف ، وجعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف .. تحفظكم من الحر والبرد ، كما جعل لكم دروعا تقيكم فى الحرب .. فالله تعالى كما أنعم عليكم بهذه الأشياء ، فانه يتم نعمته عليكم لكى تخضعوا له بالطاعة ، وتخلصوا له العبادة ..

---

(١٥) التوبة : ٩١ (١٦) النحل : ٨١

يفسر الشيرازى هذه الآية بقوله : « يعنى : ظلال أوليائه ليستظل بها المريدون من شدة حر الهجران ، ويأوون اليها من قهر الطغيان ، وشياطين الانس والجان •• لأنهم ظلال الله فى أرضه ، لقوله عليه السلام : « السلطان ظل الله فى أرضه ، يأوى اليه كل مظلوم » ••

« **وجعل لكم من الجبال أكنانا** » ، أكنان الجبال : قلوب أكابر المعرفة وظلال أهل السعادة من أهل المحبة ، يسكن فيها المنقطعون الى الله ••

« **وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر** » : جعل للعارفين سرابيل روح الأنس لئلا يحترقوا بنيران القدس ••

« **وسرابيل تقيكم بأسكم** » : سرابيل المعرفة وأسلحة المحبة لتدفعوا بها محاربة النفوس والشياطين •• ثم زاد نعمته ومنته عليهم بقوله : « **كذلك يتم نعمته عليكم** » .

[المرجع السابق ، ص ٥٣٤ ، ٥٣٥]

ويقول تعالى عن سليمان عليه السلام : « **وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين • لأعذبنه عذاباً شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين** »(١٧) .

أى أن سليمان عليه السلام تفقد أنواع الطير •• فلم ير الهدهد بينها •• فقال : ما الذى جعلنى لا أرى الهدهد ؟ •• أأخطأه بصرى فلا أراه قد حضر ، أم هو غائب لم يحضر ؟

فلما أخبر — عليه السلام — بانه غائب •• أقسم ليعذبن الهدهد عذابا شديدا ، أو ليقتلنه ، ان لم يأته بحجة واضحة تبين لسامعها صحتها ••

ولكن الشيرازى يقول : « ان طير الحقيقة لسليمان طير قلبه •• فتفقده ساعة وكان قلبه غائبا فى غيب الحق ، مشغولا بالمذكور عن الذكر ، فتفقده وما وجده ، فتعجب من شأنه •• أين قلبه ان لم يكن معه ؟ •• فظن أنه غائب عن الحق ، وكان فى الحق غائبا •• وهذا شأن غيبة

---

(١٧) النمل : ٢٠ ، ٢١

أهل الحضور من العارفين .. ساعات لا يعرفون أين هم ، وهذا من كل استغراقهم فى الله ، فقال : « **لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين** » : لأعذبنه بالصبر على دوام المراقبة والرعاية ، وألقينه فى بحر الفكرة من المعرفة ، ليفنى ثم يفنى عن الفناء .. أو لأذبحنه بسيف المحبة أو بسيف العشق .. أو ليأتينى من الغيب بسواطع أنوار أسرار الأزل » !! [نفس المرجع ج ٢ ، ص ٨١٣]

وهذا مثل سابقه .. يوجه همته كلها الى التفسير الفيضى .

* * *

● ويقول الله تعالى عن طالوت وجنوده : « **فلما فصل طالوت بالجنود قال أن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده** »(*) ..

أى : فلما رحل طالوت بالجنود من بيت المقدس — وهم ثمانون ألف مقاتل — شكوا اليه العطش .. فأخبرهم بأن الله سوف يختبرهم بنهر يردون عليه .. فمن شرب من مائه فليس من أهل ولايته وطاعته .. ومن لم يذق ماء ذلك النهر فانه من أهل ولايته وطاعته .. الا من شرب غرفة اغترفها بيده فانه منه ..

هذه الآية الواضحة .. يفسرها نجم الدين داية بقوله : « الاشارة فيها : أن الله تعالى ابتلى الخلق بنهر الدنيا وماء زينتها وما زين للخلق فيها لقوله تعالى : « **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب** »(٨١) .. ليظهر المحسن من المسىء ، وليميز الخبيث من الطيب والمقبول من المردود ..

وكما قال تعالى : « **انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا** »(١٩) .

ثم امتحنهم .. فقال تعالى : « **فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى** » : يعنى من أوليائى ومحبى وطلابى ، وله اختصاص

(*) البقرة : ٢٤٩ (١٨) آل عمران : ١٤

(١٩) الكهف : ٧

لقربى وقبولى ، والتخلق بأخلاقى ونيل الكرامة منى .. وكان النبى ﷺ يقول : « أنا من الله ، والمؤمنون منى » ..

« الا من اغترف غرفة بيده » : يعنى من قنع من متاع الدنيا على ما لا بد منه من المأكول ، والمشروب ، والملبوس ، والمسكن ، وصحبة الخلق . على حد الاضطرار بمقدار القوام .. كما كان النبى ﷺ وأصحابه .. وكان يقول : « اللهم ارزق آل محمد قوتا » : أى ما يمسك رمقهم » !!

[التأويلات النجمية ج ١]

● ويقول تعالى عن سليمان عليه السلام : **« وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون . حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون »**(٢٠) .

أى : وجمع لسليمان جنوده من جميع الأجناس فى مسير لهم ، فهم يكفون لئلا يتقدموا فى المسير .. حتى اذا أتى سليمان وجنوده على واد للنمل قالت نملة : يا أيها النمل التجئوا الى بيوتكم حتى لا يقتلكم سليمان وجنوده وهم لا يعلمون بكم ..

يفسر نجم الدين هذه الآية بقوله : **« وحشر لسليمان جنوده من الجن »** : أى صفته الشيطانية ، **« والانس »** : أى صفته النفسانية ، **« والطير »** : أى صفته الملكية ، **« فهم يوزعون »** : عن طبيعتهم بالشريعة ليسخروا لسليمان القلب وينقادوا له ..

« حتى اذا أتوا على وادى النمل » : وهو هوى النفس الحريصة على الدنيا وشهواتها . **« قالت نملة »** : وهى النفس اللوامة ، **« يا أيها النمل »** : أى الصفات الانسانية ، **« ادخلوا مساكنكم »** : محالكم المختلفة وهى الحواس الخمس ، **« لا يحطمنكم »** : لا يهلكنكم ، **« سليمان »** : القلب ، **« وجنوده »** : المسخرة له ، **« وهم لا يشعرون »** : لأنهم الحق وأنتم الباطل .. فاذا جاء الحق زهق الباطل ، كما أن

---

(٢٠) النمل : ١٧ ، ١٨

الشمس اذا طلعت تبطل الظلمة وتنفيها .. وهى لا تشعر بحال الظلمة وما أصابها » !! [المرجع السابق ج ٤]

● ويقول تعالى فى شأن قتال المشركين : « **يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ، واعلموا أن الله مع المتقين** »(٢١) .

أى : ابدأوا بقتال الكفار .. الأقرب فالأقرب اليكم دارا ، دون الأبعد فالأبعد .. وليجد هؤلاء الكفار منكم شدة عليهم ، وأيقنوا أن الله معكم وناصركم ان اتقيتم ربكم بأداء فرائضه واجتناب نواهيه ..

ويفسر نجم الدين هذه الآية بقوله : « **يا أيها الذين آمنوا** » : أى صدقوا محمداً ﷺ فيما دلهم الى الله باذنه ..

« **قاتلوا الذين يلونكم من الكفـــار** » : أى جاهدوا كفار النفس وصفاتها بمخالفة صفاتها وتبديلها ، وحملها على طاعة الله والمجاهدة فى سبيله فانها تحجبك عن الله ..

« **وليجدوا فيكم غلظة** » : أى عزيمة صـــادقة فى فنائها بترك شـــهواتها ولذاتها ومستحسناتها ، ومنازعتها فى هواها وحملها على المتابعة فى طلب الحق ..

« **واعلموا أن الله مع المتقين** » : بجذبة الوصول ليتقوا به عما سواه ، كما يتقى المرء بترسه عن النشاب والرمح والسيف » !!

[نفس المرجع ج ٢]

● ويقول تعالى ممثلا للثبات بامرأة فرعون : « **وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين** »(٢٢) .

ومعناها — والله أعلم — أن الله تعالى يمثل مثلا للذين صدقوا الله : امرأة فرعون التى آمنت بالله وصدقت رسوله موسى عليه السلام .. وكانت تحت عدو من أعداء الله كافر — وهو فرعون — فلم يضرها كفر زوجها اذ كانت مؤمنة بالله تعالى .. لهذا حين دعت الله بقولها :

---

(٢١) التوبة : ١٢٣ (٢٢) التحريم : ١١

رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ، وانقذنى من عذاب فرعون ، واجنبنى أن أعمل عمله فأكفر بالله ، ونجنى من عمل القوم الكافرين ومن عذابهم .. عندما دعت الله تعالى بهذا الدعاء ، مؤمنة به ، ومخلصة فى دعائها .. استجاب لها تعالى بأن أنقذها من عذاب فرعون ، وعصمها من الوقوع فى الكفر .. ولذا يبشرها تعالى بأنه قد بنى لها بيتا فى الجنة جزاء لايمانها واستجابة لدعائها ..

ولكن « السمنانى » يفسر هذه الآية بقوله : « **وضرب الله مثلا للذين آمنوا** » : يعنى القوى المؤمنة من قوى النفس اللوامة ..

« **امرأة فرعون** »: يعنى القوة الصالحة القابلة تحت القوة الفاسدة الفاعلة المستكبرة .. ما ضرها كفر القوة الفاعلة الفاسدة اذا كانت صالحة هى بنفسها .

« **اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين** » : يعنى اذ قالت اللطيفة الصالحة القابلة فى مناجاتها مع ربها : ابن لى بيتا فى أخص أطوار القلب .. وقالت أيضا فى مناجاتها : نجنى من هذه القوة الفاسدة والفاعلة عملها .. ونجنى من أنوائها وقواها الظالمة » !! [التأويلات النجمية ج ٥]

● ويقول تعالى فى شأن « ثمود » قوم « صالح » عليه السلام : « **كذبت ثمود بطغواها . اذ انبعث أشقاها** » .. الى آخر السورة[٢٣] ..

أى أن أولئك القوم .. كذبوا بالعذاب الذى توعدهم به نبيهم .. فكان ذلك العذاب طاغيا عليهم .. حدث ذلك حين ثار أشقى ثمود « **قدار بن سالف** » ، وكان عزيزا شريفا فيهم .. فقال لهم صالح عليه السلام : احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء ، وراعوا يوم شربها .. ولكنهم كذبوا صالحا فى خبره بما يحل من نقمته تعالى بهم ان عقروها .. فقتلوا الناقة عن رضا جميعهم .. فدمر الله عليهم بكفرهم وتكذيبهم لنبيه عليه السلام ، وعقرهم للناقة .. فسوى الدمدمة عليهم فلم يفلت منهم أحد .. والله تعالى .. لا يخاف عاقبة اهلاكهم وتدميرهم ،

---

(٢٣) الشمس : ١١ — ١٥

كما يخاف الرؤساء والملوك عاقبة ما يفعلون .. لأنه تعالى لا سلطان لأحد عليـــه ..

يفسر « السمنانى » هذه الآيات بقوله : « **كذبت ثمود بطغواها . اذ انبعث أشقاها** » : يعنى اذ انبعثت اللطيفة وأسرعت الى الطاغية ، انبعث أشقى قوى النفس على اثر اللطيفة الصالحة ، ليعقر ناقة شوقها .

« **فقال لهم رسول الله** » : أى اللطيفة ..

« **ناقة الله وسقياها** » : أى احذروا عقر ناقة الشـــوق وشرابها من عين الذكر ..

« **فكذبوه فعقروها** » : بتكذيبهم صالح اللطيفة النفسية ، وعقروا ناقة الشـــوق ..

« **فدمدم عليهم ربهم بذنبهم** » : أى أهلكهم الله .

« **فسواها** » : أى عمهم بذلك العذاب .

« **ولا يخاف عقباها** » : ولا يخاف القوى العاقرة فى عقر ناقة الشوق عاقبة الأمر .. فأهلكهم بطغيانهم لرسوله وتكذيبهم اياه » !!

[المرجع السابق جـ ٥]

● ويقول « السمنانى » : « ان لكل آية سبعة أبطن .. كل بطن يخالف الآخر .. فالمعنى الذى يجرى على هذا البطن يغاير المعنى الذى يجرى على البطن الآخر » !!

ويوضح هـــذه البطون السبعة فيقول : « فبطن مخصوص باللطيفة القالبية ، وبطن مخصوص باللطيفة النفسية ، وبطن مخصوص باللطيفة القلبية ، وبطن مخصوص باللطيفة السرية ، وبطن مخصوص باللطيفة الروحية ، وبطن مخصوص باللطيفة الخفية ، وبطن مخصوص باللطيفة الحقية » !!

ولم يقف « السمنانى » عند هذا الحد .. بل تعداه الى القول بأن لكل آية سبعين بطنا .. بل سبعمائة !!

وهـــذا التفسير أيضا لم يحم حول المعانى الظاهرة .. انما وجه همته كلها للتفسير الفيضى ..

* * *

أما محيى الدين بن عربى .. فانه يجمع فى تفسيره بين التفسير الصوفى النظرى ، والتفسير الصوفى الفيضى .. ولم يتعرض فيه للكلام عن التفسير الظاهر بحال من الأحوال .. كما بنى أغلب ما فيه من التفسير النظرى على مذهبه فى وحدة الوجود ..

ونلاحظ أن الكثير من التفسير الفيضى لابن عربى لا يفهم له معنى ، بل انه لا يوجد فى سياق الآية أو لفظها ما يدل عليه ، كما قدمنا ..

يقول الله تعالى .. حاكيا عن ابراهيم عليه السلام : **« واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ، قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار ، وبئس المصير »**(٢٤) .

أى ان ابراهيم عليه السلام دعا ربه فقال : يارب ، اجعل هذا البلد بلدا آمنا من الجبابرة أن يسلطوا عليه ، ومن عقوبتك أن تناله .. وارزق يارب من الثمرات سكان مكة المؤمن منهم دون الكافر .. فقال له تعالى : ومن كفر فانى أرزقه أيضا .. لأنى أرزق البر والفاجر ، فأمتعه قليلا برزقى من الثمرات فى الدنيا الى أن يأتيه أجله .. ثم أدفعه وأسوقه الى عذاب جهنم سحبا وجرا على وجهه .. فبئس ذلك الموضع الذى يصير اليه فى جهنم بعد ذلك النعيم الذى متعته به فى الدنيا ..

هذه الآية الواضحة .. يفسرها ابن عربى بقوله : **« واذ قال ابراهيم رب اجعل »** هذا الصدر الذى هو حرم القلب **« بلداً آمنا »** من استيلاء صفات النفس واغتيال العدو اللعين ، وتخطف جن القوى البدنية أهله ، **« وارزق أهله من الثمرات »** : ثمرات معارف الروح أو حكمه أو أنواره ، **« من آمن منهم بالله واليوم الآخر »** : من وحد الله منهم وعلم المعاد ، **« قال ومن كفر »** : أى ومن احتجب أيضا من الذين سكنوا الصدر ، ولا يجاوزون حده بالترقى الى مقام العين لاحتجابهم بالعلم الذى وعاؤه الصدر .. **« فأمتعه قليلا »** من المعانى العقلية ، والمعلومات الكلية النازلة اليهم من عالم الروح على قدر ما تعيشوا به ،

---

(٢٤) البقرة : ١٢٦

« **ثم أضطره الى عذاب النار** » : نار الحرمان والحجاب ،« **وبئس المصير** » مصيرهم لتعذبهم بنقائصهم ، وتألمهم بحرمانهم » !!

[تفسير ابن عربى جـ ١ ص ٥٧]

● ويقول تعالى : « **ان الله فالق الحب والنوى ، يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ، ذلكم الله ، فأنى تؤفكون** »[٢٥] .

أى أن الله — جل وعلا — هو الذى شق الحب فأخرج منه الزرع ، وفلق النوى فأخرج منه الشجر .. ففلق الحب عن السنبلة ، وفلق النواة عن النخلة .. فهو تعالى يخرج السنبل الحى من الحب الميت ، ويخرج الحب الميت من السنبل الحى .. والشجر الحى من النوى الميت ، والنوى الميت من الشجر الحى .. كما يخرج النطفة الميتة من الحى ، ثم يخرج من النطفة بشرا حيا .. ان الذى يفعل ذلك كله هو الله جل جلاله .. فكيف تصرفون عن الحق وتعبدون ما لا ينفع ولا يسمع ، وتتركون عبادة من أخرج لكم الزروع والحروث والثمار ؟

ولكن ابن عربى يفسر الآية بقوله : « ان الله فالق حبة القلب بنور الروح عن العلوم والمعارف ، ونور النفس بنور القلب عن الأخلاق والمكارم .. ويخرج حى القلب عن ميت النفس تارة باستيلاء نور الروح عليها ، ومخرج ميت النفس عن حى القلب أخرى باقباله عليها ، واستيلاء الهوى وصفات النفس عليه .. ذلكم الله القادر على تقليب أحوالكم ، وتقلبيكم فى أطواركم .. فأنى تصرفون عنه الى غيره » !!

[المرجع السابق جـ ١ ، ص ٢١٥]

● ويقول جل شأنه : « **وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ، حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات ، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون . والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذى خبث لا يخرج الا نكدا ، كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون** »[٢٦] .

أى أن الله تعالى .. هو الذى يرسل الرياح تبشر بالمطر أمام نزول

---

(٢٥) الأنعام : ٩٥ (٢٦) الأعراف : ٥٧ ، ٥٨

غيثه على خلقه .. حتى اذا حملت هذه الرياح سحابا مثقلا بالمـاء .. ساقه تعالى لاحياء بلد ميت أجدب أهله ، فأنزل فى ذلك البلد الميت المطر الحى ليخرج بذلك المـاء من جميع أنواع الثمرات ..

وكما يحيى الله تعالى هـذا البلد الميت بانزال المـاء بعد موته وجدبه .. كذلك يخرج الموتى من قبورهم بعد فنائهم ودروسهم .. لتعتبروا وتتذكروا .. فتعلموا قدرة الله ..

والبلد الطيبة تربته ، يخرج نباته — باذن الله — طيب الثمر فى وقته وحينه .. والذى خبثت تربته لا يخرج نباته الا بعسر ومشقة .. كذلك يبين الله الحجج ويضرب الأمثال لقوم يشكرون الله على انعامه ..

وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن وعمله الطيب ، والكافر وعمله الخبيث ..

فالبلد الطيب مثل للمؤمن .. والذى خبث مثل للكافر ..

هذا — والله أعلم — هو التفسير المقبول للآية ، ولكن ابن عربى يفسرها على طريقته .. فيذكر أنه لمـا أدركته الفطرة التى لابد منها لكل داخل فى الطريق وتحكمت فيه .. رأى الحق سبحانه (!!) فتلا عليه هاتين الآيتين .. قال : « فعلمت أنى المراد بهذه الآية ، وقلت : ينبه بما تلاه علينا على التوفيق الأول الذى هدانا الله به على يد عيسى وموسى ومحمد — سلام الله عليهم جميعهم — فان رجوعنا الى هذا الطريق كان ببشارة على يد عيسى وموسى ومحمد عليهم السـلام ، « **بين يدى رحمته** » وهى العناية بنا .. « **حتى اذا أقلت سحابا ثقالا** » وهى ترادف التوفيق .. « **سقناه لبلد ميت** » وهو أنا . « **فأحيينا به الأرض بعد موتها** »[٢٧] .. وهو ما يظهر علينا من أنوار القبول والعمل الصالح والتعشق به ..

ثم مثل فقال : « **كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون** » : يشير بذلك الى خبر ورد عن النبى ﷺ فى البعث — أعنى حشر الأجسام — من أن الله يجعل السماء تمطر مثل منى الرجال .. ثم قال : « **والبلد الطيب يخـرج نباته باذن ربه** » وليس سـوى الموافقة والسـمع والطاعة

---

(٢٧) فاطر : ٩

لطهارة المحل ، « **والذى خبث** »وهو الذى غلبت عليه نفسه والطبع ، وهـــو معنى به فى نفس الأمر « **لا يخـــرج الا نكدا** » مثل قوله : «ان لله عبادا يقادون الى الجنة بالسلاسل» ، وقوله تعالى : « **ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها** »[٢٨] .. فقلنا : طوعا يا الهنا» !!

● ويقول جل وعلا : « **ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب . لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق** »[٢٩]

فالله تعالى .. يأمر الناس باجتناب عبادة الأوثان لأنها رجس .. كما يأمرهم بانتفاء الكذب والفرية على الله .. ويأمرهم أن يستقيموا له على اخلاص التوحيد له فلا يشركوا شيئا من دونه بقوله :« **فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور .. حنفاء لله غير مشركين به ، ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق** »[٣٠] .

ثم يقول : « **ذلك ومن يعظم شعائر الله ...** » أى يعظم هذا الذى أمرتكم به ، ومن يعظم ما جعلته من مناسك الحج ، فان تعظيمه لها من خشية الله .. ولكم فى هذه الشعائر — وهى الذبائح التى تساق هديا للكعبة — منافع ، لأنكم تشربون ألبانها ، وتركبون ظهورها الى أن تنحر .. ثم محل هذه الذبائح الى أرض الحرم ..

الآية سيقت لبيان مناسك الحج .. وجاءت بعد اخباره تعالى لنا أنه يسر وبين لابراهيم عليه السلام مكان الكعبة ليقوم ببنائها .. وأمره ألا يشرك فى عبادته اياه شـــيئا ، وأن يطهر بيته من عبادة الأوثان للطائفين به والمصلين الذين هم قائمين وراكعين وساجدين فى صلاتهم حول البيت .. ثم أمره أن ينادى فى النـــاس : أن حجـــوا بيت الله الحرام ..ووعده أنهم سوف يأتون البيت مشاة على أرجلهم وركبانا على الابل التى تأتى من كل طريق ومكان بعيد .. ليشهدوا ما ينفعهم من العمل الذى يرضى الله والتجارة ، ولكى يذكروا اسم الله تعالى فى أيام التشريق

---

(٢٨) الرعد : ١٥ (٢٩) الحج : ٣٢ ، ٣٣

(٣٠) الحج : ٣٠ ، ٣١

على ما رزقهم من الهدايا والبدن التى أهدوها من الابل والبقر والغنم .. وأباح لهم أن يأكلوا من هذه البدن والهدايا .. وأن يطعموا — مما يذبحون أو ينحرون — البائس الذى به ضر الجوع والحاجة ، والفقير الـذى لا شىء له .. ثم ليقضوا ما عليهم من مناسك حجهم : من الحلق ، والرمى ، والطواف .. وليوفوا الله بما نذروا من هدى وغيره .. وليطوفوا طواف الافاضة ببيت الله القديم ..

هـذا الذى أمرنا الله به من الوفاء بالنذور والطواف .. هو الواجب علينا .. ووعد تعالى من يجتنب ما أمر الله باجتنابه فى حال احرامه ، تعظيما منه لحدود الله .. بالخير الكثير عند ربه فى الآخرة ..

ثم يقول تعالى : أنه قد أحل لنا الأنعام بأن نأكلها اذا ذكيناها .. الا ما يتلى علينا من تحريم شىء منها ، وطلب منا أن نتقى عبادة الأوثان لأنها رجس ، وأن نتقى قول الكذب والفرية على الله .. وأن نكون مستقيمين لله على اخلاص التوحيد له وألا نشرك به شيئا من دونه ..

ومثل تعالى من يشرك به كمثل من خر من السماء ، فهلك واختطفته الطير .. أو هوت به الريح فى مكان بعيد ثم قال : « **ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب** » .

ولكن ابن عربى يفسر الآية بقوله : « **شعائر الله** » : أعلامه ، وأعلامه الدلائل الموصـلة اليه .. « **ثم محلها الى البيت العتيق** » : وهو بيت الايمان عند أهل الاشارات .. وليس الا قلب المؤمن الذى وسع عظمة الله وجلاله » !! [الفتوحات ج ٤ ، ص ١٠٩]

* * *

وبعد .. فهذا وأمثاله من كلام الصوفية .. لو قلنا انهم أرادوا به تفسير الآيات القرآنية وبيان معانيها التى تحمل عليهـا لا غير .. لكان هو بعينه مذهب الباطنية ..

وذلك لأن المعانى التى حملوا عليها الألفاظ لا تعرفها العرب من مدلولات لهذه الألفاظ .. لا بالوضع الحقيقى ، ولا بالوضع المجازى المناسب .. وليس فى مساق الآيات ما يدل على هذه المعانى المذكورة ..

ومعلوم أن القرآن عربى .. ومخاطب به العرب الذين يفهمون ألفاظه وتراكيبه . ولا يفهم منه العربى أكثر من المعانى المتبادرة الى فهمه والتى تنساق الى ذهنه ابتداء ..

ولا ننكر أن ثم أفهاما يلقيها الله تعالى فى قلوب أصفيائه وأحبابه.. ويخصهم بها دون غيرهم على تفاوت بينهم فى ذلك .. بمقدار ما بينهم من تفاوت فى درجات السلوك ومراتب الوصول ..

كما لا ننكر أن تكون هـذه الأفهام تفسيرا للقرآن ، وبيانا لمراد الله من كلامه .. ولكن بشرط أن تكون هـذه الأفهام يمكن أن تدخل تحت مدلول اللفظ العربى القرآنى .. وأن يكون لها شـاهد شرعى يؤيدها ..

أما أن تكون هـذه الأفهام خارجة عن مدلول اللفظ القرآنى ، وليس لها من الشرع ما يؤيدها .. فذلك ما لا يمكن أن نقبله على أنه تفسير للقرآن وبيان لمراد الله تعالى .. لأن القرآن عربى قبل كل شىء .. والله سبحانه يقول فى كتابه : « **كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون** »(٣١) .. وحاشا لله أن يلغز فى آياته ، أو أن يعمى على عباده طريق النظر فى كتابه وهو يقول : « **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر** »(٣٢) .

* * *

(٣١) فصلت : ٣ (٣٢) القمر : ١٧

وانظر التفسير والمفسرون ، مرجع سابق ، جـ ٢ ص ٣٦٥ ، ٣٧٤